

المطلب الأول: آبار مكة المكرمة

1- بئر زمزم:

وهي أقدم بئر إذ يبلغ عُمرها حوالي 5000 سنة، وهي داخل المسجد الحرام، وتبعد عن الكعبة المشرفة 21 م، ولزمزم أسماء كثيرة منها: هَزْمَةُ جبريل، وبركة، وسيدة ونافعة، ومضـ_____نونة، وعونة وبشرى، وصافية، وَبَرَّة، وعصمة، وس_____المة، وميمونة، ومباركة، وكافية، وعافية، ومُغذية وطاهرة، ومفداة، وحَرَمِيَّة، ومُرَوِيَّة، ومؤنسة، وطعامُ طُعم، وشفاء سقم⁽¹⁾.

والملاحظ على هذه التسميات أنها صفات مشتقة من مناقب زمزم، وأما سبب تسميتها بزمزم، ففيه أربعة أقوال: (2)

- الأول: لكثرة مائها؛ لأنّ الزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع.

- الثاني: لأنّها زُمّت بالتراب لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً.

- الثالث: وقيل سميت زمزم لزمزمة الماء وهو صوته.

- الرابع: لأنّ الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليها.

صِفَتُهَا:

كان على بئر زمزم بناء يُغطيه ومساحته $8,3 \text{ م} \times 10,7 \text{ م} = 88,8 \text{ م}^2$ ، وهُدم ما بين 1381-1388 هـ لتوسعة المطاف، ونُقل مكان شرب ماء زمزم إلى بَدْرُوم مُكَيَّف أسفل المطاف، يتم النزول فيه بـ 23 درجاً بمدخل منفصل للرجال والنساء، وهو مُزَوَّد بـ 350 صنبراً للشرب منها 220 صنبراً في قسم الرجال و130 صنبراً في قسم النساء، ويمكن رؤية البئر من داخل الحاجز الزجاجي هناك⁽³⁾.

(1) الفاسي، شفاء الغرام: 251/1.

(2) المصدر نفسه: 351/1.

(3) عبد الغني، تاريخ مكة: 78.

وفي سنة 1415هـ تم تنفيذ مشروع مجمع مياه زمزم، في كُدي مكة، مُزوّد بأجهزة لنقل المياه من البئر إلى خزان خراساني مُسلّح سِعته 15000م² وهو مُرتبط مع الخزان العلوي، والذي يقوم بخدمة نقاط التغذية لتعبئة الجوّالين، ونقل الماء بالسيارات إلى أماكن مختلفة في المملكة وخاصة إلى المسجد النبوي الشريف وقد أفادت الدراسات الحديثة أنّ العيون المغذية للبئر تضخ ما بين 11 إلى 18,5 لتراً من الماء في الثانية، فعلى أقل تقدير يكون الضخ في الدقيقة $60 \times 11 = 660$ لتراً، وفي الساعة $660 \times 60 = 39600$ لتراً، وهكذا.

ومن العيون المغذية للبئر في اتجاه الحجر الأسود بطول 75 سم وارتفاع 30 سم، ويتدفق منها القدر الأكبر من الماء، وهناك فتحة باتجاه المكبرية بطول 70 سم وارتفاع 30 سم⁽¹⁾.

وتبلغ فتحة البئر تحت المطاف 1,56م، ويبلغ عمق البئر من الفتحة 30م، وعمق مستوى الماء من الفتحة 4م، وعمق العيون المغذية 13م، والعمق من العيون إلى القعر 17م، ويتراوح القطر بين 1,46م و 2,66م⁽²⁾.

فَضْلُهَا:

ماء زمزم فضائل كثيرة نورها فيما يأتي:-

1- خير ماءٍ على وجه الأرض: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: ﴿خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم...﴾⁽³⁾.

2- غُسل به صَدْر النبي ﷺ: ومن أعظم فضائل زمزم أنّ صَدْر النبي ﷺ غُسل به، وقلْب النبي ﷺ هو أعظم قَلْب خَلَقَهُ اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ به بأسٌ حاشاه، وإِنَّمَا غُسلَ بزمزم لتحصل البركة في مائها، عن أنس بن مالك ◀ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: ﴿فُرجٌ سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل ▶ ففرج صدري، ثمّ غَسَلَهُ بماء زمزم، ثمّ جاء بطست من

(1) المرجع نفسه: 79.

(2) المرجع نفسه: 78.

(3) الطبراني، المعجم الأوسط: 4/179 رقم 3912، والمعجم الكبير: 11/98 رقم 76111.

ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري، ثم أطبقه ﴿١﴾، وقال سراج الدين البلقيني: (إنّ ماء زمزم أفضل من الكوثر وعلل ذلك بكونه غُسل به صدر النبي ﴿٢﴾، ولم يكن ليغسل إلاّ بأفضل المياه) ﴿٢﴾.

3- فيه ريقُ النبي ﴿٣﴾: ولتعظم بركة زمزم فقد مَجَّ النبي ﴿٣﴾ فيها، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿٣﴾ جاء النبي ﴿٣﴾ إلى زمزم فنزعنا له دلوّاً فشرب، ثم مَجَّ فيها، ثم أفرغناها في زمزم ﴿٣﴾. ﴿٣﴾.

4- غذاءٌ وشفاء: ولما خالط زمزم ريقُ النبي ﴿٣﴾ صار بلا شكٍ أغنى غذاء، وأنجع دواء، وأسرع شفاء، قال ﴿٣﴾: ﴿٣﴾... فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم ﴿٣﴾. ﴿٣﴾.

5- يطفئ الحمى: ومن بركة زمزم إنه ليس علاجاً للاستعمال الداخلي-الشرب- فقط، ولكنّه علاجٌ خارجي أيضاً، فهو يُذهب الحمى، عن أبي جمرة الضبعي قال: كنتُ أجالس ابن عباس بمكة فأخذتني الحمى فقال: ﴿٣﴾ أبردّها عنك بماء زمزم، فإنّ رسولَ الله ﴿٣﴾ قال: الحمى من فيح جهنّم فأبردوها بماء زمزم ﴿٣﴾. ﴿٣﴾.

قلت: ويظهر لي أنّ مرّد هذه المزية أيضاً إلى غسل قلب النبي ﴿٣﴾ بزمزم ومجّه فيه، وذلك لأنّ النبي ﴿٣﴾ هو صورة الرحمة الإلهية ومعناها، قال تعالى ﴿٣﴾ وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين ﴿٣﴾، فقد وسعت رحمة قلبه الكون كلّّه، ولما انتقل من أثر تلك الرحمة في ذلك الماء، أزال ذلك الماء أثر النعمة وهي الحمى، لأنّها من فيح جهنم كما تبين.

6- علامة المؤمن: وجعل النبي ﴿٣﴾ الإكثار من شربه علامة المؤمنين، والإقلال منه علامة المنافقين، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي ﴿٣﴾ قال: ﴿٣﴾ إنّ آية ما بيننا

(1) البخاري، الصحيح: 589/2 رقم 155.

(2) الفاسي، شفاء الغرام: 1/252.

(3) الامام أحمد، المسند: 372/1 رقم 3527، والطبراني، المعجم الكبير: 97/11 رقم 11165.

(4) الطبراني، المعجم الأوسط: 179/4 رقم 3912، والمعجم الكبير: 98/11 رقم 11166.

(5) البخاري، المصدر السابق: 1190/3 رقم 3088.

(6) سورة الأنبياء، آية: 107.

وبين المنافقين، أنهم لا يتضلعون من زمزم \Rightarrow (1)، وفي رواية: \Rightarrow التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق \Rightarrow (2).

7- تُحَفُّهُ النَّبِيُّ \Rightarrow : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: \Rightarrow كان رسول الله إذا أراد أن يُتَحَفَّ الرجل بتحفة، سقاه من ماء زمزم \Rightarrow (3).

8- أمر النبي \Rightarrow بحمله إليه: ومن كرامة هذا الماء أن النبي \Rightarrow كان يحمله معه، ويأمر بحمله إليه، فقد كتب \Rightarrow إلى سهيل بن عمرو \blacktriangleleft : \Rightarrow إن جاءك كتابي هذا ليلاً فلا تُصبحن، وإن جاءك نهاراً فلا تمسين حتى تبعث إليّ بماء زمزم \Rightarrow (4).

9- شُرْبُهُ قِضَاءٌ لِلْحَاجَاتِ: وعلى أيّ نية يشرب المسلم من زمزم حققها الله له، لقوله \Rightarrow : \Rightarrow ماء زمزم لما شرب له \Rightarrow (5)، أي: ينفع الشارب لأيّ أمرٍ شربه لأجله، سواء كان من أمور الدنيا، أم الآخرة.

10- قلت: ومنها أن من شربه دَخَلَ قَلْبَهُ نَوْرٌ، وذلك من أثر غسل صدر النبي \Rightarrow وَجَّهَ فِيهِ، والتجربة تبين ذلك لمن اعتقد.

ماء زَمَزَم قصص واقعية واكتشافات علمية

والقصص الواقعية التي حدثت منذ عهد النبي \Rightarrow إلى زمننا هذا كثيرة جداً، لا تُعَدُّ ولا تُحصى، إذ تحققت ببركة هذا الماء حاجات كل من شرب منه على وجه اليقين. فمن ذلك أن سيدنا الشافعي \blacktriangleleft شربه للعلم فكان فيه غاية، وللمرمي، فكان يصيب العشرة من العشرة، والتسعة من العشرة (6)، ومن ذلك أن رجلاً شرب سويقاً فيه إبرة

(1) البخاري، التاريخ الكبير: 157/1 رقم 468، وابن ماجه، السنن: 1017/2 رقم 61، والبيهقي، السنن الكبرى: 147/5 رقم 9438.

(2) الديلمي، الفردوس: 77/2 رقم 2436.

(3) الاصبهاني، حلية الأولياء: 304/3.

(4) عبد الرزاق، المصنف: 119/5 رقم 9127.

(5) ابن أبي شيبة، المصنف: 274/3 رقم 14137، والإمام أحمد، المسند: 357/3 رقم 14892، والدارقطني، السنن: 89/2 رقم 238، والبيهقي، المصدر السابق: 148/5 رقم 2442.

(6) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)، أخبار الأذكياء، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الفكر بيروت: ص 105.

وهو لا يشعر بها فاعترضت في حلقه وصار لا يقدر يطبق فمه وكاد يموت فأمره بعض الناس بشرب ماء زمزم وأن يسأل الله تعالى فيه الشفاء، فشرب منه شيئاً بجُهدٍ وجلس عند اسطوانة من المسجد الحرام فغلبته عيناه وانتبه وهو لا يحسّ من الإبرة شيئاً وليس به بأس⁽¹⁾، ومنها أنّ الحافظ العراقي شربه لداءٍ في باطنه، فشفي منه بغير دواء⁽²⁾، ومنها أن السيدة يسرية عبد الرحمن حراز-وهي من المعاصرات- أُصيبَت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج صداغٌ نصفي لا يُفارقها ليلَ نهار ولا تُهدئُ منه المسكّنات كما انها كادت تفقد الرؤية تماماً بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون، فأكد أنّ لا سبيل إلى وقف الصّداع إلّا بإعطائها حقنة تقضي عليه وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد، وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة برحمة الله تعالى، ومطمئنة إلى أنّه سيهيء لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك ففكرت في أداء عمرة كي تتمكن من التماس الشفاء مباشراً من الله عند بيته المحرم وجاءت إلى مكة وطافت بالكعبة ولم يكن عدد الطائفين كبيراً، وقتئذٍ ممّا أتاح لها كما تقول أن تقبل الحجر الأسود وتمسّ عينها المريضة به، ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوباً منه وتغسل عينها وبعد ذلك أتمت السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به وبعد عودتها إلى الفندق فوجئت أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماماً، وأنّ أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يُذكر⁽³⁾.

وغير ذلك من القصص كثير جداً.

ومن الاكتشافات العلمية التي توصل لها الباحثون مؤخراً: أنّ ماء زمزم له مزية من حيث التركيب فقد قام بعض الباحثين من الباكستانيين منذ فترة طويلة فأثبتوا هذا، وقام مركز أبحاث الحج بدراسات حول ماء زمزم فوجدوا أنّ ماء زمزم ماءٌ

(1) الفاسي، شفاء الغرام: 255/1.

(2) المصدر نفسه: 255/1.

(3) الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي: 750.

عجيب يختلف عن غيره، قال المهندس سامي عنقاوي مدير ورئيس مركز أبحاث الحج، عندما كنا نحفر في زمزم عند التوسعة الجديدة للحرم كنّا كُلّما أخذنا من ماء زمزم زادنا عطاء، فشغلنا ثلاث مضخات لكي ننزح ماء زمزم ويتيسّر لنا وضع الأسس، ثمّ قُمنا بدراسة ماء زمزم من منبعه؛ لنرى هل فيه جراثيم، فوجدناه أنّه لا يوجد فيه جرثومة واحدة، فهو نقيّ طاهر، لكن قد يحدث نوع من التلوث بعد ذلك في استعمال الآنية أو أنابيب المياه، أو الدلو يأتي التلوث من غيره ولكنّه نقيّ طاهر ليس فيه أدنى شيء⁽¹⁾.

2- بئر الداودية

بئر مفتوحة غرب باب إبراهيم على بُعد 175م من بئر زمزم، قطرها 3,65م، ومنسوب الماء عادةً يختلف من 9م تحت مستوى الأرض في الأيام العادية إلى حوالي 13م في موسم الحج⁽²⁾.

ويُخزن ماؤها في خزانين أعلى باب الملك عبد العزيز وباب العمرة، وسعة كل واحدٍ منهما 50متراً مكعباً، وتستعمل مياه الداودية في الغسيل والتنظيف اللازم للحرم، بالإضافة إلى تغذية دورات المياه التي حول المسجد الحرام، وتتمّ معالجة ماء هذا البئر بالكلور عند التخزين لتعقيمه⁽³⁾.

وهناك آبارٌ كثيرة بمكة المكرمة كثير طوى ويقع بجَرْوَل، اغتسل النبي ﷺ من مائه قبل دخوله مكة، وموقعه الآن مقابل مستشفى الولادة خلف عمارة الجفري في منطقة آبار الزاهر⁽⁴⁾، ومنها بئر الحمام بسوق الليل، وبئران في المِعَلّ بالشعب الذي يسميه الناس شعب عامر، وهو شعب عبد الله بن عامر بن كريز أحدهما في بستان هذا الشعب، والأخرى بقم الشعب⁽⁵⁾، ومنها بئر بأسفل يقال لها الطُنْبُداويّة⁽⁶⁾.

(1) المرجع نفسه: 749.

(2) ينظر: الرقبيّة، الأماكن المقدسة والحج: 375.

(3) ينظر: الرقبيّة، الأماكن المقدسة والحج: 288.

(4) حامد، ذكرى من مكة المكرمة: 119.

(5) الفاسي، شفاء الغرام: 341/1.

(6) المصدر نفسه: 346/1.

المطلب الثاني: عيون مكة المكرمة

1- عين زبيدة: وهي في الحقيقة عينان وليست عين واحدة، الأولى: عين نعمان وهي على يمين عرفات على بعد نحو 1 كم، وبعضهم يسميها عين عرفات، والثانية: عين حنين وهي على يسار عرفات إلى جهة الطائف⁽¹⁾.

وقد أجزتهما السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد سنة 174هـ-791م، وكل واحدةٍ منهما تنبع من موضع، فعين نعمان تنبع من جبل «كرا» في منتهى وادي نعمان فتصب في قناة إلى موضع يقال له الأوجر من وادي نعمان، وعين حنين تنبع من جبل عال يقال له «طاد» بقرب الشرائع⁽²⁾.

وكانت عين زبيدة سقيا أهل مكة على مدى ألف ومئتي سنة وظل الحكام يولونها العناية والإصلاح على مرّ الدهور فعين نعمان وعين حنين تجري كل واحدةٍ منهما على حدة في القنوات من منبعهما حتى تصلا إلى أعلى مكة فوق محلة المعابدة أي: إلى بستان بُنونة المسمّى قديماً بستان القاضي، وهو المعروف الآن بالشيبيّة، وكان فيه قصر الملك فيصل رحمه الله، فإذا وصلنا إلى أعلى مكة في المحل المذكور اجتمعنا في مجرى واحد ودخلنا معاً إلى نفس البلدة ثمّ تُوزَّعان بواسطة القنوات المبنية من المواسير الرصاصية أو الحديدية في أطراف البلدة ليصل الماء إلى كل محلةٍ وحارةٍ وهذه المواسير الرصاصية لم تستعمل في مكة إلّا في العهد السعودي في حوالي سنة 1370هـ⁽³⁾.

ثمّ انقطع ماء العين في المدة الزمنية الأخيرة، وفي سنة 1421هـ أصدر صاحب السموّ الملكي -آنذاك- الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود تعليماته بإجراء دراسات لتجديد العين والاستفادة من مائها⁽⁴⁾.

(1) تنظر التفاصيل: الفاسي، شفاء الغرام: 347/1، وينظر: الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: د. علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ-2001م: ص200-199، والكردى، التاريخ القويم: 406/5.

(2) الكردى، التاريخ القويم: 406/5.

(3) الكردى، التاريخ القويم: 410/5.

(4) ينظر: عبد الغني، تاريخ مكة: 14.

2- عين العزيزية: وبسبب ازدياد السكان بمكة المشرفة وكثرة المهاجرين إليها من الأقطار كافة، وورود الألوף المؤلفة من حجاج بيت الله الحرام في موسم حج كل عام جعل مكة المطهرة تشعر بنقص في الماء خصوصاً في وقت الحج، وعند ذلك أحسّ جلالة الملك المرحوم عبد العزيز آل سعود بحاجة البلدة الطاهرة إلى عين جديدة تساعد عين زبيدة في مدّ مكة بما تحتاجه من المياه العذبة الصافية، وتساعد أيضاً في ازدهار حركة العمران فيها، ففي أوائل عام 1370 هـ أصدر أمره الكريم بالبحث عن عين قريبة من مكة المكرمة تكون مياهها حلوة صافية فوقّ الله رجاله المخلصين إلى شراء عين تسمى: العين الجديدة، وتقع في الجانب الشمالي من مسيل السيل المنحدر من وادي النخلة الشامية والذي يمرّ من وادي المضيق إليها وهي تبعد عن مكة المكرمة بمسافة 46 كم⁽¹⁾.

ولم يمض وقت طويل حتى صدر أمر جلالته المطاع إلى معالي الشيخ محمد ابن لادن مدير الإنشاءات الحكومية، بإيصال ماء عين الجديدة إلى مكة المكرمة⁽²⁾. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر شوال عام 1371 هـ وصل الماء إلى مكة المكرمة، وجرى لوصوله احتفال عظيم حضره معالي الشيخ محمد بن لادن، ومدير إدارة عين زبيدة، وجمع غفير من الموظفين والأهالي⁽³⁾، ثمّ من شدة فرح الأهالي طلبوا تسمية هذه العين باسم الملك فسميت بالعزيزية⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: مشروعُ تحلية مياه البحر

إنّ المقصود بتحلية مياه البحر هو استبعاد الأملاح المذابة من تلك المياه بالقدر الذي يجعلها صالحة للاستهلاك البشري، أو الصناعي، أو لأغراض الرّي⁽⁵⁾.

(1) الكردي، المرجع السابق: 417/5-418.

(2) الكردي، التاريخ القويم: 418/5.

(3) المرجع نفسه: 418/5.

(4) المرجع نفسه: 418/5. باختصار.

(5) ينظر: الحوّاس، عساف بن علي، مصادر المياه (بحث مطبوع ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي): مج 3/ القسم الأول: 893.

بدأت المحاولات الأولى لتقطير مياه البحر في المملكة عام 1348هـ بتشغيل جهاز تكثيف على ساحل البحر الأحمر في مدينة جدّة، وعلى الرغم من إسهام هذه المحطة في حلّ جزء من مشكلة المياه العذبة إلا أنّها لم تلبث أن توقفت نتيجة لصعوبات في الصيانة والتشغيل، ولتحميلها أكثر من طاقتها خلال موسم الحج⁽¹⁾.

ثمّ أمر جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله بتحديثها وجلب جهازين أكثر تطوراً لضمان عدم الانقطاع، وفي سنة 1394هـ صدر مرسوم ملكي بإنشاء المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة، فبدأ المشروع يخطو خطوات واسعة جداً وتبني للتحلية محطات موزعة على مدن المملكة منها مشروع محطة الشعيبة «المرحلة الثانية» وسيغذي جدّة ومكة المكرمة والطائف، ويجري نقل المياه من محطة التحلية على ساحل البحر الأحمر أو الخليج العربي إلى المراكز الحضرية المستفيدة عبر شبكة من الأنابيب يبلغ مجموع أطوالها 2000 كم، وتواكبها 24 محطة ضخ و 98 خزاناً للمياه بسعة إجمالية تتجاوز الثلاثة ملايين متر مكعب، وقد وصلت المياه المحلاة إلى مكة المكرمة⁽²⁾، إذ يتمّ ضخّها بطاقة يومية مقدارها 113,500 متراً مكعباً يومياً، ممّا زاد إمدادات المياه اللازمة للمدينة المقدسة⁽³⁾.

قلت: ولا شك أنّ هذا المشروع ستكون له نتائج طيّبة في التقليل من أزمة المياه في مكة المكرمة ولاسيما إذا علمنا أنّها تستقبل سنوياً أكثر من ثلاثة ملايين حاج وما يقرب من هذا العدد، أو قد يفوقه من المعتمرين في رمضان وغيره، مع قلة الأمطار عموماً، وقلة المياه الجوفية.

(1) المرجع نفسه: مج3/ القسم الأول: 895.

(2) ينظر: الحواسب، مصادر المياه: مج3/ القسم الأول: 898.

(3) أبكر، صور من تراث مكة المكرمة: 203.